



علي بن سلال: الوزير في الدولة الفاطمية

1153-1149م / 548-544هـ

عطا عبدالرحمن محيي الدين

جامعة السليمانية// كلية العلوم الانسانية// قسم التاريخ

Article Info

Received: January, 2021

Accepted :February,2021

Published :April ,2021

Keywords

علي بن سلال، الوزير الفاطمي،
الدولة الفاطمية.

Corresponding Author

الليخص

حكم الفاطميين مساحة لاسهان بها من تاريخ مصر وبعض اطراف بلاد الشام والمغرب ولكن الدراسات التاريخية على كثرتها وتشعب موضوعاتها لم تكشف بعض الجوانب المهمة من ذلك التاريخ وخاصة ما يتعلق بالتغلغل الى دراسة شخصيات الوزراء المتنفذين ورجال قوية من الامراء والقواد الذين كان لهم في اكثر الاحوال القدح المعلى في احداث تلك العهود ومعالجتها . ولا نغالي اذ قلنا ان ابن سلال الكردي هو احد هؤلاء الرجال الاشداء الاقوياء اذ اسهم بدور قيادي متميز في تولية لمناصب مهمة في الدولة الفاطمية سواء حينما كان واليا على الاسكندرية او بعدما اصبح وزيرا في الدولة ان المرؤخين يكادون لا يتفقون على تحديد أهم صفاته في ادارة شؤون بلاده حين نعتة الاكثرون بأنه كان رجلا عادلا محبا للخير، حازما في تطبيق القوانين وفرض النظام فهناك من يصفه بالجور والظلم والتشدد مع الرعية الا انهم يكررون القول بأن صفات قيادته حيوية كالشجاعة والحزم والارادة القوية والحكمة في معالجة المشاكل وغيرها قد تجمعت في ابن سلال مما جعله منذ شبابه ان يتمتع بممارسة دوره الريادي ويوما بعد يوم كان يزداد قوة وعزما وحسن اداء لواجباته مما قره الى الخلفاء والتصدرين في دست الحكم.

واشتهر بالعدالة ولقب بـ (العادل) لانجازة اعمالا كثيرة نافعة و ل

دونما تمييز فذاع صيته بأنه يحب الاعمال الخيرية لخدمة الاسلام والمسلمين فأنشأ كثيرا من المساجد والمدارس والمرافق العامة. كما برز في الميادين العلمية. وقام بنشر التعليم والانفاق على طلبة العالم، و صرف من أمواله الخاصة في ذلك المجال الكثير، كما خصص للمدرسين رواتب مجزية. و جراء كثرة أهتمامه بالمدارس والدراسة فيها اشتهرت عدة مداس باسمه. ومنهاد العادلية في الاسكندرية.

كما كان مدافعا صلبا عن حدود البلاد. وخاصة في اقليم الاسكندرية عندما كان واليا هناك ورغم كثرة الصراعات في السيطرة على امور البلاد بين القادة والامراء فان ابن سلال تهيئاً للوزارة بعدما علم بأن الخليفة قد عين ابن مصال وزيرا. و فعلا نجح في مهمته و استولى على الوزارة عنوة ورغم كراهية الخليفة لابن سلال ولابن مصالاي ابن سلال كما اثبت قوته و جدارته و حكمته في ادارة البلاد على احسن ما يرام لم ينفك في نفس الوقت عن ادارة العسكر وتدريبهم و اعدادهم لمواجهة المخاطر التي تهدد البلاد وبالخص الخطر الصليبي. ولكن الكراهية التي كانت في قلب الخليفة الفاطمي تجاه ابن سلال كانت تشتتد يوما بعد يوم ولم يرق للخليفة بروز ابن سلال و السيطرة على الامور و ادارة و بحكمة و قوة و حزم. فدبر ضده عدة مؤامرات لكي يقضى عليه و ان الخليفة استغل ضعف نفس نصر بن العباس الذي كان ابنا لزوجة ابن سلال... و كان نصر يتولى قيادة مجاميع عسكرية و هو كان احد من يثق بهم ابن سلال و سلمهم زمام بعض الامور الهامة . فدبر الخليفة خطة في الخفاء للقضاء على ابن سلال و كلف نصرا القيام بتنفيذها . لقاء اجر زهيد يأخذه بعد تنفيذ جريمته. و فعلا قام نصر بن العباس باغتيال ابن سلال في منامه. بعد اتفاهه مع احد افراد حمايته و اتفاههما على موعد لقتله في منامه و هكذا اغتيل ذلك القائد المحفل المعروف بشجاعته و عدالته و هبة للخير و تطبيق القانون و اقامة الحلق و العدل و المساواة. و بقتله تم طي صفحة مشرقة من حياة الامة

المقدمة

ان البحث والتحري عن سير الشخصيات التاريخية و ابراز دورهم وجهودهم في عهدهم تعد خطوة مهمة نحو كتابة التاريخ بصورة تتسم بالدقة و الموضوعية في تسجيل الاحداث و تحليلها. اذ ان دراسة اثار هؤلاء البارزين و تأثيراتهم الاجتماعية و السياسية و الادارية لا تخلو من فوائد جمة فضلا عن ان قسما من هؤلاء يعدون محط اعتراف الناس ...

و بغية سد الثغرات في تسجيل الاحداث التاريخية و كتابتها بموضوعية لابد ان لا يتجاهل الادوار المؤثرة لرجال الكرد الذين كان لهم ابلغ الاثر في التعامل مع الاحداث و تسييرها و معالجتها في وقتها.

ما من شك ان الشعب الكردي.. حاله حال شعوب المنطقة الاخرى يمتلك مساحة لا يستهان بها في التاريخ و خاصة تأريخ القرون الوسطى، اذ ظهر فيه عدد ملحوظ من هؤلاء الابطال الذين تركوا اثارا شاخصة في مختلف المجالات عموما و في المناحي العسكرية و السياسة بصورة خاصة.

و ان البحث عن هؤلاء الرجال و اعمالهم البطولية و تعريف الجيل الجديد بهم امر جدير بالاهتمام اذ يتعرف للباحثون من الاجيال على حياة اولئك العظام و اثارهم و ادوارهم خاصة اذ كانت البحوث تتسم بالموضوعية و الدقة و الروح العلمية و ان ما دفعني لاختيار هذا البحث حول ذلك الرجل المشهور هو ان للتاريخ حضورا دائما في حياة المجتمع ايا كان و ان ابن سالار هو احد الشخصيات القوية البارزة في عصره و من هذه الناحية جلب انتباهي اليه. و حثني اعجابي به على ان أتعرف أكثر و أكثر على سيرته و نمط حياته بوصفه شخصية كردية فعالة في الميادين السياسية و العسكرية في عصره حيث كان له دور مؤثر في أحداث مرحلته. هذا فضلا عن الى ان ذلك الرجل قام بأعمال جليلة تتميز بالشجاعة و التضحية و الصمود بحيث اصبح مصدر قلق و مخاوف في المنطقة و مع كل ذلك العطاء و التضحيات و الاعمال الكبيرة فان الباحثين لم يولوه الاهتمام اللائق به و لم يعطوه حقه و مستحقه و من البحث و الدراسة. و من اجل ذلك كله رغبت ان اقدم هذا البحث المتواضع عنه . و من الله التوفيق

ابن سالار الكردي

هو الوزير علي بن سالار، و ذكرته مصادر اخرى بكنيته (ابو الحسن) ولكنه عرف ب (ابن سالار) اكثر من (ابن الحسن).

ولقد تمكن بجهوده و قدراته الشخصية و ما كان يتمتع به من صفات القيادة ان يصل الى منزلة رفيعة في الدولة الفاطمية بمصر. و يتولى شؤون الحكم و الادارة لفترة معينة. فظهر شخصية قيادته بارزة بعد ما كان مغمورا في بداياته.

و هو مع انه كان سني المذهب و على مذهب الامام الشافعي تحديدا لكنه و لسبب كفاءته و قدراته المتميزة تبوأ مناصب حساسة و بارزة في تلك الدولة. حيث كان قائدا عسكريا في منطقة الصعيد ثم أصبح واليا على منطقة الاسكندرية ثم اخذ طريقه نحو الوزارة و اصبح وزيرا للخليفة الفاطمي بالقاهرة.

و ان كثيرا من المؤرخين يتناولون هذا الجانب المهم في حياته و يتحدثون عن شجاعته و ارادته القوية في تسيير اموره مما كان له الاثر الفعال في قوة شخصيته و اتزانه. و برز ذلك واضحا في تعامله الاداري و الاجتماعي الامر الذي ادى الى ان يلقب ب (الملك العادل) او (سيف الدين)⁽¹⁾

يقول ابن خلكان (بحثت عن سيرة هذه الشخصية كثيرا المشهور بابن سالار و هكذا سمعت به. و لكن بعد متابعاتي الكثيرة وجدت في مصدر انه ورد اسمه ب (ابن منصور على بن اسحاق)⁽²⁾

و يقول عن اصله و نسبه ان ابن سالار كردي من قبيلة (زرزاري)⁽³⁾ و يقول محمد امين زكي ان هذه القبيلة كانت تسكن بلاد فارس في ذلك العصر و انه اي ابن سالار جاء برفقه والده نازحين الى القدس⁽⁴⁾

و لم يذكر المصادر التاريخية شيئا عن اسرته و اصول ابائه مما يدل على ان اسرته لم تكن مشهورة الى ان وصل على بن سالار الى منصب الوزارة و ذاع صيته في مصر و مع اشتهاره بعد تسلمه منصب الوزارة لم تول المصادر التاريخية اهتماما ما بجهوده و أعماله الكبيرة كما ينبغي بل كما يستحق.

و ان المصادر التي تطرقت الى اصله و انحدره الاسرى هي مصادر تنسب الى الاكراد. كأمثال ابن خلكان و ابي الفداء. حيث يقول ابو الفداء. كان ابوه (سالار) من اصدقاء حاكم مدينة القدس المقربين في عهد حكم السلاجقة و كان اسمه (سقمان بن ارتق) و انيطت به ادارة تلك المنطقة التي كانت جزء من بلاد الشام (5) و كان ذلك عصر عصر صراع على السلطة بين الدولة الفاطمية الشيعية في مصر و الخلافة العباسية السنية في بغداد مما كان السبب الرئيس لحملات الفاطميين العسكرية على بلاد الشام و مدنها المقدسة و منها مدينة القدس. و خاصة تلك الحملة التي قادها الافضل الفاطمي الذي عرف ب (أمير الجيش) على مدينة القدس سنة (489هـ) الموافق ل (1096م) و استسلمت له المدينة مضطرة بعد مقاومة عنيفة للعسكر المرابطين حولها.

ولما استولى (الافضل) قائد الجيش الفاطمي على مدينة القدس بدا يعمل على تنظيم امورها و ادخل عددا كبيرا من افراد الجيش السلجوقي في صفوف جيشه الفاطمي و كان من بين هؤلاء العاملين (سالار) والد (على).

و في مدة و جيزة تمكن (سالار) من ان يلفت نظر قائد الجيش اليه و يتقرب منه الى درجة ان قرر (الافضل) ان يصطحبه مع اسرته لدى عودته الى مصر. و منحه لقب (سيف الدولة)⁽⁶⁾

و من الجدير بالذكر ان (على بن سالار) اصبح صديقا ملازما لأبناء قصر الخلافة الفاطمية في القاهرة. و انه بعد ان كرمت اسرته تكريما كثيرة ادخل ابن سالار المدرسة الخاصة بالقصر المسماة (الحجر) لغرض تعليمه و تدريبه تدريبات خاصة⁽⁷⁾

و بذلك الطراز من التعليم و التدريب ازداد ابن سالار نباهة و خيرة و عاش تجارب صقلته فضلا عن تعلمه كثير من علوم عصره و كسب مهارات فائقة في الفروسية. مما تسبب في ان يزاقرانه في تلك المرحلة و يلفت الانتظار اليه و ان يشتهر بالتعقل و التبصر و التيقظ و النباهة في وسطه الاجتماعي⁽⁸⁾.

بعد ما اجتاز هذه المرحلة التعليمية في حياته انضم الى صفوف الجيش و هو شاب في منطقة الصعيد و كان يؤدي واجب الخدمة على احسن وجه. و انيط به العديد من مناصب ادارية و عسكرية. و كان يقوم بوظائفه و يؤديها بنجاح و مهارة⁽⁹⁾ و تختلف آراء المؤرخين حول سلوكه و اخلاقياته في تلك المرحلة المبكرة من حياته العسكرية و الادارية

فبعضهم يصفه بأنه كان عادلا خيرا ذا مروءة و سلوك حسن قام بأعمال جيدة نافعة ذات اثر بليغ في الحياة الاجتماعية و الادارية و كان سببا في اغناء الحياة الحضارية في مصر عن طريق قيامه ببناء المساجد و المدارس و المرافق العامة. التي سنذكرها فيما بعد.

ولكن المؤرخ الكبير (ابن كثير) يقول: انه كان ظالما ذا حيلة و خداع متشددا في تعامله مع الناس الى ان اشتهر بينهم ب (السيف القاطع) و يحاول بصورة

الفاصلة و التصرفات غير الصحيحة لبعض المسؤولين و الموظفين و لكن الموفق رد عليه بأن ما يقوله غير مقبول عنده و انه لا يوليه اهتمامه ان هذا التصرف بل و هذا الموقف غير اللائق من ابي الكرم تجاهه. اثر فيه سلبا. و صار يؤذيه في داخله.

و لما وصل الى مرتبة الوزير في القاهرة استدعى اليه ابا الكرم . و لكنه اصيب بالذعر من استدعائه له و اختفى عنه. و لما لم يحضر عنده و علم باختفائه امر الوزير (ابن سالار) بقتل من يؤويه او يخفيه عنه.

و بعد صدور هذا الامر بأيام اخرجته الشخص الذي كان قد اخفاه من بيته و قبض عليه و هو متمسك بثياب نسائية. و جاؤوا به الى الوزير و لما دخل عليه الموفق سلم عليه فقال ابن سالار: ما اظن كلامي يدخل في مسمعك. فتلجج الموفق قائلا: عفو السلطان. فقال الوزير: استعملت العفو منذ خروجي من عندك، فاشار الى بعض خدمه ان يأتي اليه بقطعة من خشب و مسمار كبير طويل. ثم امر بأن يضطجع على احد جانبيه و بوضع القطفة الخشبية تحت اذنه. فبدا يدق على المسمار من اذنه الأخرى. و كان الموفق يطلق صرخة عالية مع كل دقة من المطرقة على المسمار و الوزير يقول له الان يدخل كلامي في اذنك و استمر في الدق على المسمار الى ان ثقب اذنيه. ثم امر بشنقه و قتله (15)

و يروون عنه من غضبه ورد فعله الشديد على الاعمال غير المقبولة الصادرة من المسؤولين الاداريين كالغش و اخذ الرشوة و ما الى ذلك روايات:-

منها . يقول (أسامة): كنت جالسا في بيتي القريب من بيت العادل ابن سالار. فجاء شاب و سلم و جلس. و لما اراد ان يبدا بالكلام دخل احد افراد حاشية الوزير الغرفة و دعا الشاب

ان يأتي معه الى الوزير ، فأرسلت احد الخدام عقب ذهابهما لأعرف لماذا استدعى الوزير ذلك الشاب. فرأيت ان الشاب امتثل أمام الوزير العادل واقفا فأمر بضرب عنقه و قتلوه فلما رجع الى الخادم قال ان ذنبه هو انه زور توقيعاً (16)

ب/ في مجال الخدمات

1. بناء المساجد:
تشير المصادر التاريخية لعصره و القربة منه الى جانب اخر من حياته وهو حبه للأعمال الخيرية و الاحسان الى الناس، فضلاً عن اعماله السياسية و العسكرية و الادارية قدم أعمالاً خيرية و خدم الاسلام و المسلمين في ظل ايمانه الراسخ بالدين الاسلامي الحنيف و عقيدته الصحيحة الثابتة. فعل ما في وسعه لخدمة الاسلام و بلاد المسلمين ولم يقصر في مجال الاعمار و بناء المساجد و المدارس.

و كان يهتم كثيراً ببناء المساجد و اعمارها ايمان منه بدور المساجد في مجالي العبادة و التعليم . لان مساجد المسلمين كان الهدف من انشائها هو تخصيصها لأداء العبادة فيها كما كانت مراكز مهمة في مجال التربية و التعليم، لتلقى العلوم الدينية و العلوم الأخرى و يقوم علماء المسلمين بارشاد المسلمين فيها و توعيتهم و توجيههم دينياً و ثقافياً و اجتماعياً (17) و عن طريق خدماته في هذا الجانب علا شأنه في نظر المؤرخين خاصة و في اوساط المسلمين عامة.

يروى ابن خلكان انه عندما كان يجري الحديث عن مدينة (بلبيس) تحدثوا باعجاب عن مسجد كبير أسسه ابن سالار في احد اطرافها (18) و عندما استلم منصبه الوزاري و سكن القاهرة بدا يقدم الخدمات العامة لهذه المدينة وبنى

دائمة مواصلة نجاحاته و تغلبه على المشاكل و العراقيل التي تعترضه مهما كان اسلوب و طريقة كسحها و ازالها (10)

و في هذه المرحلة من حياته تزوج بأمرأة ثيبة اسمها (بلارة) التي أنجبت لزوجها السابق ابناً اسمه (عباس بن فتوح) من المغرب العربي (11)

و كان ابن سالار و زوجته متحابين تسود بينهما علاقة قائمة على الاحترام المتبادل. بحيث ان ابن سالار قد رعى ابنها من زوجها السابق و قام بتربيته الى ان كبر و استوى ثم وفر له في شبابه الحياة الزوجية و مستلزماتها. و هكذا دام الحب و الاحترام بينهما طيلة حياتهما الزوجية.
صفات ابن سالار

ان كثيراً من المصادر التاريخية تذكر هذه الشخصية بوصفه بطلاً و فارساً مقداماً في زمانه و تؤكد على انه بعقله النير و شجاعته الفائقة و بطولاته تقدم في حياته و انتصر على خصومه و المشكلات التي اعترضته الى ان وصل الى مرتبة الوزير في مصر و بسط سلطته الوزارية مدة بقائه فيها.

و لا شك في ثبوت تلك الخصال المذكورة فيه لانه لو لم يكن على تلك الخصال الحميدة و الصفات الحسنة لما كان في استطاعته ان يصل الى مرتبة الوزير في الدولة الفاطمية الشيعية و يكسب نصرة الخلفاء له. و هو كردى سني المذهب فاقد لكل دعم قبلي له و لا يملك اعواناً و انصاراً من الاهل و الاقارب. هذا و ان منحه صفة (العادل) دليل اكيد على صحة ما ذهبنا اليه.

كما يقولون انه كان حريصاً مستندداً في تثبيت العدل و ضمانه للجميع، فضلاً عن انه كان بارزاً في مجالات الخدمات العامة و له اثار شاخصية في تقديم الخدمات مثل بناء المساجد و المدارس و المرافق العامة و التي ظلت تحمل اسمه الى مدد طويلة بعد وفاته.

و لكي نتعرف أكثر على خصاله و صفاته الجميلة ينبغي ان نتبع اعماله و نتحرى اخلاقه و تعامله الاجتماعي كما تذكرها المصادر التاريخية حتى اصبح بعضها لقباً له لاشتهاره به. مثل:

أ/ عدالته : اشتهر بأنه (عادل)

لقد منح الخليفة (الظافر) هذا اللقب، حينما تسنم منصب الوزارة، و في تلك المدة انجز كثيراً من الاعمال النافعة التي لفتت انظار الخليفة و منتسبي قصر الخلافة اليها (12)

يقول ابن خلكان (كان ابن سالار شجاعاً غير هيب يقف ضد الظلم و الجور، و انه منذ ان كان والياً على الاسكندرية الى ان وصل مرتبة الوزير كان دائماً يعمل في سبيل تطبيق القانون و توفير العدالة و المساواة بين الناس. و لذلك عرف ب (العادل) و اشتهر بتلك الصفة (13) و هذا الكلام لابن خلكان يدل على انه عرف بعدالته و اشتهر ب (العادل) بين الناس قبل ان يمنحه الخليفة ذلك اللقب ايام تسلمه منصب الوزير.

و لكن ابن كثير يتحدث عنه على عكس ما سردنا له عند غيره. فهو يقول (كان ابن سالار ظالماً ذا سيف قاطع مناقضاً لاسمه). (14)

و اما ابن خلكان فيختلف عن ابن كثير اذ يقول (كان ابن سالار متشدداً مع من لم يدعوا للعدالة و اهملوا ما بهم الناس صغيروهم و كبرهم..) و هنا يسرد حادثة بوصفها مثلاً لا ثبات ما يقول و هي (قبل ان يصبح والياً تقدم بشكوى الى مشرف الديوان (موفق ابي الكرم ابن معصوم التنيسي) عن سوء الحالة السياسية و الاعمال

المساجد فيها. وقام بأعمار بعض المساجد فيها على نفقته الخاصة. واستمر في أعماله الخيرية وخدمية العامة طيلة حياته⁽¹⁹⁾

2. في الميادين العلمية

لو تصفحنا تاريخ العصور الوسطى يظهر لنا ان عددا قليلا جدا من الامراء و السلاطين اولوا اهتمامهم بالجانب التعليمي على نفقتهم الخاصة و وفروا له مستلزمات النهوض به و كان من بين هؤلاء المهتمين بالنهوض العلمي و نشر التعليم عامة و على نفقتهم الشخصية بوجه خاص عدد من الامراء و السلاطين الكرد مثل اسد الدين شيركوه بن شادي⁽²⁰⁾ و السلطان الكبير صلاح الدين الايوبي و احفاده حيث كان لهم دور بارز في نشر التعليم في بلاد الشام و مصر.⁽²¹⁾

و كان القائد المشهور علي بن سالار احد اولئك القادة المهتمين بنشر العلم و التعليم فنتج عن ذلك اغناء الحضارة الاسلامية. فقام هو نفسه بانشاء المدارس على نفقته الخاصة و وفر لها كل المستلزمات الضرورية كما خصص للمعلمين و المربين الرواتب و خصص لطلابها نفقات تعيينهم على مواصلة دراستهم مما ادى الى ان تسمى و تعرف تلك المدارس باسم مدارس ابن سالار الكردي، و كان غرضه من انشاء تلك المدارس و الانفاق عليها نشر العلم عامة و الترويج لنشر مذهبه الشافعي و خير مدرسة تمثل اتجاهه هذا هي مدرسة (العادلية) في مدينة الاسكندرية⁽²²⁾ يقول ابن خلكان: تم تأسيس مدرسة العادلية في الاسكندرية سنة 546هـ الموافق لسنة 1151م و في تلك السنة كان ابن سالار وزيراً عند الخليفة (الظافر) في القاهرة⁽²³⁾ و يبدو انه اسس تلك المدرسة عندما كان و اليا على الاسكندرية. و انه هو الذي عين العالم المشهور (ابو الطاهر السلفي) - المعروف بعلمه في عصره - مدرسا فيها و عهد اليه ادارة شؤون المدرسة و تسيير الدراسة فيها كما اخذ على عاتقه تأمين كل النفقات اللازمة للمدرسة و توفير مستلزماتها. فكان ينفق عليها و يوفر مستلزماتها على حسابه الخاص من خلال الاوقاف التي اوقفها عليها⁽²⁴⁾ (ولاية الاسكندرية)

كانت الاسكندرية في تأريخها مركزا للامارة و الادارة. و قبل ان يهيم العرب المسلمون بفتحها كانت تلك المدينة قاعدة مهمة للامبراطورية البيزنطية في الشرق. تأتي اهميتها بعد القسطنطينية بالنسبة لهم و انها بحكم اهمية موقعها على البحر المتوسط كانت المدينة التجارية الاولى على المستوى العالمي. و كانت هذه الاهمية البالغة واضحة امام العرب المسلمين عندما ارادوا فتحها. و بالنظر الى تلك الاسباب و بوصفها عاملاً استراتيجياً في المنطقة ادرك البيزنطيون ان فتح الاسكندرية من لدن المسلمين يعني سقوط سلطتهم في مصر و ازلتها. و لذلك اولتها الامبراطورية البيزنطية اهتمامها و كانت تزيد دوما من قوتها الدفاعية فيها⁽²⁵⁾ و لكن لما بدأت حملة المسلمين نحوها بهدف فتحها حاصرها المسلمون مدة اربعة أشهر ثم تمكنوا من فتحها بعد ذلك الحصار الشديد⁽²⁶⁾ و بوصول القوات الاسلامية الى تلك المناطق و فتحها صارت جزءاً من العالم الاسلامي. و بدأت العلاقات تنمو بينها و بين الخلافة الاسلامية و توطدت في عصور الخلافة الراشدة و الخلافة الاموية و العباسية. و لما ظهرت الخلافة الفاطمية في المغرب العربي و وصل الفاطميون مدينة القاهرة سنة 358هـ/969 م . و قسموا سلطاتهم الادارية الى ثلاثة اقسام.

سعى القسم الاول: اقليم مصر. و كانت القاهرة مركزه . فضلا عن الشام و المغرب حيث كان ممثل الخليفة فيهما قائما على امور الادارة و فرض السلطة⁽²⁷⁾

يقول المقرئبي : ان الفاطميين اتبعوا نظام الولاية في ادارة البلاد بهدف تسهيل اجراء امورهم. خير مثال على ذلك قسموا مصر الى ولايات عديدة و حسب اهمية المناطق كانوا يعينون الرجال الكفاء الاقوياء ولاة عليها فيستلمون زمام الامور فيها⁽²⁸⁾ و من حيث اهمية المناطق عامة و منطقة الاسكندرية بوجه خاص يقول المقرئبي: كان راتب الولاية (50) ديناراً. و كانت الاقسام (المناطق) الشرقية تفوق اهميتها اهمية الولايات الغربية. و كذا فان منطقة الاسكندرية بوصفها موقعاً حدودياً واقعاً على البحر كانت لها خصوصيتها مع انها عرفت بالاقليم الرابع⁽²⁹⁾

في عهد الخليفة (الحافظ) (524 – 544 هـ / 1129-1149 م) تقرر تعيين ابن سالار والياً على اقليم الاسكندرية و انيط به حكم و ادارة كل مناطق البحيرة. و ذلك بسبب مؤهلاته و قدراته الكبيرة من مجال الحكم و الادارة⁽³⁰⁾

و لقد قام ابن سالار بأداء مهامه في ذلك الاقليم و المناطق الاخرى بكل نجاح و جدارة و اخلاص. و اصبح موضع ثقة سكان تلك المناطق و انه قد خلف اثارا شاخصه من بعده في اقليم الاسكندرية و خاصة في مجال اعمار الاقليم و انشاء المساجد و المدارس في المنطقة و تقديمه الخدمات العامة للسكان و حماية حدود الاقليم و مناطق البحيرة من اعتداءات الصليبيين و إعادة الامن الى الطرق التجارية في سبيل استمرار الحركة التجارية فيها بأمان⁽³¹⁾ و ينبغي ان يقال ان هذه النجاحات التي حققها على بن سالار كانت نتيجة خبراته و تجاربه السابقة في الاقاليم الاخرى التي كانت سببا في تطبيق الجوانب الادارية و ادارة اعماله في هذه المناطق الى ان غادرها متوجها الى القاهرة لتسم منصبه الجديد الاعلى في سلم سلطات الدولة. و هو منصب الوزير الذي منح اياه الخليفة الفاطمي بالقاهرة⁽³²⁾

ابن سالار وزيراً⁽³³⁾

مما قاله اهل الفكر و البصيرة : ان تحسن احوال البلد و اوضاعه مرهونة بحسن تصرف ملكه او رئيسه، و ان حسن تصرف الملك مرهون بالوزير الصالح البصير بالامور.

و ان التمسك بتطبيق مفهوم هذه المقولة و السير عليها بوصفه دستوراً و قانوناً عاماً كان يراود رجال الدولة قبل ما يتولى ابن سالار منصبه كوزير، و كانت اهمية سلطة الوزارة في الدولة الاسلامية تأتي بعد سلطة الخليفة⁽³⁴⁾ الى ان اذداد الاهتمام بسلطة الوزير على مر الايام و السنين بحيث وصلت الى مرتبة الصدارة في القرن السادس للهجرة، الثاني عشر للميلادي و ذلك في الدولة الفاطمية بمصر، اذ كان ضعف بعض الخلفاء في تلك الدولة. و تولى بعض من لم يكن له حول و لا قوة منصب الخلافة و تردى الاوضاع و الاحوال الادارية و الاقتصادية و السياسية العامة اثر استيلاء هؤلاء على مركز الخلافة كل ذلك تسبب في نشوء صراعات و منازعات بين الامراء و القواد للوصول الى منصب الوزير. في نهاية الامر كان الخليفة يعين من يتغلب في الصراع على منصب الوزير، و دامت هذه الحالة سنين متوالية و اصبح الوزراء يتصرفون حسب اهوائهم و كل واحد منهم ينظر الى نفسه و يتصرف كأنه هو الخليفة بل و كانوا يحكمون الخليفة نفسه و جعلوه خلف الستار.

ثم بدا يمنح جنوده و افراد جيشه الاموال و النقود جريا على عاداته و عاملهم بالحسنى. مما جعلهم ان يستمروا على طاعته و يحتشدوا حوله مستعدين لامتثال اوامره بكل جدية و اخلاص.

و صل نجم الدين بن مصال الى منطقة الحوف و استطاع ان يجمع الى جيشه عددا كبيرا من شبان قبيلة (لواته) البربرية فضلاً عن عدد اخر لا يستهان به من المصريين و السودانيين الذين كانوا معه و قرروا فيما بعد ان يعودوا الى القاهرة و يقاتلوا جيش ابن سالار. حتى ان يطردوه من القاهرة ، و كان قرارهم جميعا. و لما طرق هذا الخبر مسمع ابن سالار جهز جيشا او اعده للدفاع. و جعله تحت امره (العباس) ابن زوجته (بلارة) و قرر عباس ان يخرج بجيشه في تلك الليلة الى ظاهر القاهرة و يخيموا هناك و يستعدوا لمقاتلة المهاجمين في الصباح الباكر. و لكن جيش ابن مصال اغاروا عليهم في تلك الليلة و تمكنوا من تشتيت جنود العباس و قتلوا اعداداً منهم⁽⁴⁴⁾ كانت هذه الهزيمة مصدر قلق لابن سالار، و امتعض كثيراً.

و بدا بتجهيز جيشا اخر و جعله تحت امره العباس ايضا و امره ان يلاحق جيش ابن مصال و يبيده فتلقى الجيشان في منطقة (دلاص)⁽⁴⁵⁾ و لما حصلت المواجهة بينهما ثبتت اوار معركة عنيفة دامية انهكت جيش ابن مصال فقتل اعداد كثيرة من صفوفهم فضلا عن اعداد كبيرة من الجرحى. مما تسبب في هزيمة جيش ابن مصال و قتل ابن مصال نفسه - الامر الذي لم يكن في الحسبان - و جاؤوا براس ابن مصال الى القاهرة. و هكذا انتهت تلك المعركة و انهزم جيش ابن مصال و قتل هو. و خمدت نار الحرب. فكانت الارضية ملائمة لابن سالار لتمرير ما يريد ان يقوم به دونما عرقلة كبيرة. و بعد مرور خمسين يوما على ذلك الانتصار لابن سالار و حكمه كوزير في وزارته⁽⁴⁶⁾ اضطر الخليفة - و ان كان بصورة شكلية - ان يكرم ابن سالار- الوزير الجديد - و يمنحه حقه و لا يترك المحال لحدوث برودة في العلاقة بينهما. و لذلك قرر الخليفة ان يقيم احتفالا خاصا بمناسبة تسلم الوزير الجديد و ان يقيم احتفالا خاصا بمناسبة تسلمه مهامه و ان يخوله في ذلك الاحتفال شؤون ادارة الدولة⁽⁴⁷⁾ و بعد الانتصار بدا ابن سالار يتصرف اموره و باشر مهامه بنشاط و جدية و نجاح حيث ادت حيويته و نشاطه الى جلب انتباه الناس اليه سواء من محبيه و مؤيديه او من خصومه و مناوئيه و اشتهر بين الناس بوصفه رجل ادارة صلب يحب الخير و يقيم العدل، و حقا انجز اعمالا كبيرة في ذلك الاتجاه كبناء المساجد و المدارس و رعاية المحتاجين و الفقراء و المهوفين⁽⁴⁸⁾

دور ابن سالار في حرب الصليبيين⁽⁴⁹⁾ من الواضح انه جراء الضعف و المنازعات و خصومات المتسلطين في الدولة الاسلامية تمكن الصليبيون ان يستولوا على سوا حل بلاد الشام و عدة مدن اخرى في الجزيرة. و يقيموا اربع امارات لهم مثل امارات الرها⁽⁵⁰⁾ و انطاكية⁽⁵¹⁾ و بيت المقدس⁽⁵²⁾ و طرابلس⁽⁵³⁾ التي تحولت الى خطر داهم على المناطق المجاورة لها في العالم الاسلامي و كانت هذه السيطرة الصليبية في مدد قصيرة تقريبا و هي ما وقع بين سنوات (489-498 هـ / 1096 - 1105 م) و فضلاً عن تلك الخصومات التي ذكرناها انفا فان الصراع كان دائراً بين الخلافتين (العباسية السنية) في بغداد و (الفاطمية الشيعية) في القاهرة مع ان كليهما كانت تخطو نحو الضعف و السقوط لان السلاجقة كانوا مسيطرين على الخلافة العباسية و المناطق التابعة لها. و مع وجود هذه الصراعات و تغلب السلاجقة فان مقاومة تلك الحملة العسكرية الصليبية الأوروبية على تلك المناطق من بلاد العرب و المسلمين وقعت على كاهل امراء تلك المناطق

و كانت هذه الصراعات و المنازعات السمة البارزة للدولة الفاطمية خاصة في سنوات حكمها الاخيرة. اذ كانت مهمة الخليفة الاساسية منح الالقاب للوزراء. و توزيع تلك الالقاب و منحها للمتغلبين في صراعات القواد و الامراء . و دليلاً على ضعف الخلافة من جهة و توسع صلاحيات و سلطة الوزراء من جهة اخرى. و هي حالة شهية بحال الخليفة العباسي في بغداد خليفه في قفص بين وصيف و بغا يقول ما قال له كما تقول البيغا⁽³⁶⁾

و وصل حال الصراع بين الامراء و قواد الجيش للاستيلاء على الوزارة الى حد ان من لم يقتل خصومه و منازعيه على السلطة لم يمكنه ان يصبح وزيراً و خير مثال على ذلك عين الخليفة (الظافر)⁽³⁷⁾ لنجم الدين بن مصال وزيراً سنة (544 هـ) الموافقة ل (1149م)⁽³⁹⁾

و لما سمع ابن سالار خبر تعيين نجم الدين وزيراً للخليفة امتعض و انتابه القلق فلم يتمالك نفسه فبادر الى استدعاء قواد و امراء جيشه و أمرهم بأن يعدوا جيشهم و عدتهم و يتوجهوا الى القاهرة و يقاتلوا الوزير الجديد الى ان يخلعوه من منصبه. و ذلك لكي يضمن لنفسه المنصب و ان يتبواه عنوة. و لما تمهيا جيش الاسكندرية قاده ابن سالار بنفسه و توجه الى القاهرة و حينما وصل الى مقربة من العاصمة سمع ابن مصال بتقرب جيش ابن سالار من القاهرة اصابته الحيرة اذ كان يعلم بأنه لا يستطيع ان يقاوم ابن سالار و جيشه فاتصل فوراً بالخليفة ليسعفه بخطة تعالج الموقف و تخلصه من المأزق الذي سيقع فيه⁽⁴⁰⁾

يقول (اسامة): ان الخليفة جمع الامراء و القواد لغرض تأمين اسنادهم و دعمهم لابن مصال ضد ابن سالار و قال الخليفة في الاجتماع موجها كلامه الى الامراء و القواد :- ايها الامراء. ان نجم الدين بن مصال الحاضر بينكم هو وزيرى و نائبي. فالذي يطيعني ينبغي ان يطيعه ايضا. فأظهر معظم الامراء الحاضرين امتثالهم لأمر الخليفة و تقيدهم به ما عدا الامير (لكرون) حيث قام و تحدث قائلاً: كيف يحق لنا ايها الامراء و القواد ان نعرض عن ابن سالار و نفس المجال لقتله؟! فادار جميع الحاضرين وجوههم عن الخليفة متوجهين الى (لكرون). و قالوا له انك على حق فيما تقول و لانترك المجال لتمرير تلك الجريمة. ثم قال لهم (لكرون): فلتهب جميعا و لنذهب لاستقبال صديقنا القديم (سيف الدين بن سالار) فلما رأى الخليفة هذا الموقف منهم اصابته الحيرة و ارتعد و فكر في ان يقدم لنجم الدين مبلغا من المال و يطلب منه مغادرة القاهرة . و ان يصرف ذلك المال المقدم له في اعداد قوة عسكرية مقاتلة يستخدمها بوجه ابن سالار و ينتقم منه في الوقت المناسب⁽⁴¹⁾

و هذا ما حدث فعلا. اذ استلم نجم الدين ذلك المبلغ المالي من الخليفة فتوجه و معه جمع من جنوده الى منطقة الصعيد لكي يعد العدة و يجهز الجيش لمقاتلة ابن سالار في القاهرة. و لهذا السبب طلب المعونة و الاسناد من السودانيين و لكن محاولاته باءت بالفشل⁽⁴²⁾ في ذلك الظرف بالذات و في يوم 15 شعبان سنة 544 هـ الموافق 1149م دخل ابن سالار و معه جيشه مدينة القاهرة و منح لقب امير الجيش⁽⁴³⁾ و سكن في دور الوزراء.

انتهى كلامه هذا سلمى (6000) ستة الاف دينار مصري. و امر ان تحمل الجمال باقمشة دبيقية⁽⁶⁰⁾ و صقلاطونية⁽⁶¹⁾ و دمياطية⁽⁶²⁾ و لما انتهى اخذ هذه العدة ارسل معى عددا من العارفين بطرق الشام. و اعد لي مستلزمات سفرى المطلوبة. و امتثالا لأمره بدأت بسفرى الى الشام⁽⁶³⁾

ثم يتحدث اسامة عن متاعب سفره الى ان وصل الى الشام. فيقول:
و وصلت مدينة بصرى⁽⁶⁴⁾ بعدما تجشمتنا من متاعب وصعوبات السفر ما تجشمتنا و ادرت ان اتوجه الى المعسكر للقاء نورالدين محمود. فلقيت اسد الدين شيركو⁽⁶⁵⁾ و كان عائدا الى نورالدين محمود. و لما قابلت صاحب الشام ابغته ان ابن سالار يطلب تعاوننا عسكريا بغية الحاق الهزيمة بالصليبيين ليسواهم و حدهم اعداء لنا فان امراء دمشق هم ايضا اعداء لنا.

يقول اسامة: فهمت من جوابه ان صاحب الشام لا يريد ان يلي طلب ابن سالار راسا، لانه منشغل بأمر بلاده و يبدو انه في تلك الاثناء كان يفكر في الاستيلاء على دمشق. و لذا اضطرت ان اطلب منه ارسال بعض الجنود معى لكي اقوم انا بحملة على الصليبيين و قلت له انه في الوقت الذي هو يرسل الجنود معى يؤكد انه مشارك في الحملة. و يعطى بموقفه هذا الدليل عليه فرضي بمطلبي و امر ان يشارك معى في هذه الحملة (160) جنديا من افراد عسكريه و امر القائد (عين الدين باروقى) ان يرافقني مع ثلاثين من جنوده الى ان نخرج من خطر الطرق التي قد يظفر بنا العدو منها⁽⁶⁶⁾ و وصلت الى مدينة عسقلان حسب الخطة التي رسمها لى ابن سالار. فاستقبلنا هناك و الى المدينة و قدم لنا خدمات كثيرة ذلك لان العلاقة بينه و بين ابن سالار كانت متينة جدا. و ان ابن سالار كان دائما يقدم له الدعم المادي و المعونات اللازمة لاجل تقوية انفسهم و الاستمرار في صمودهم و تصديهم للصليبيين.

و بعدما اخذنا راحتنا لايام في هذه المدينة انتشر نبأ وصولنا اليها. و كان الصليبيون قريبين منا. فلما سمعوا بخبر وصولنا الى عسقلان بدأوا يستعدون و يهيؤون انفسهم ثم جاؤا بجنودهم المشاة كثيرى العدد نحو مدينة عسقلان بهدف قتالنا.

يقول اسامة: لما سمعنا بخبر توجه الصليبيين نحو عسقلان خرجنا منها دون تأخر لصددهم فلما اقتربنا بدأ القتال و دارت المعركة و سقط من الجانبين قتلى و جرحى كثيرين. و بعد انتهاء المعركة عاد الصليبيون الى ثكناتهم⁽⁶⁷⁾ ثم بقينا نحن في تلك المنطقة لمدة اربعة اشهر لقتال الصليبيين امتثالا لأمر ابن سالار. الى ان ارسل الى رسالة امرني فيها بالعودة الى القاهرة. فامتثلت لأمره. و انبت عنى اخى (عزالدولة) و تركته في عسقلان و استشهد فيما بعد هناك⁽⁶⁷⁾ و هكذا قاوم ابن سالار الوزير الصليبيين و حاربهم لا في مصر وحدها بل في خارج حدود ادارته و سلطاته و هذا النشاط العسكري الذي سردناه افضل دليل على صحة ما نقول.

محاولات الخليفة الفاطمي لقتل ابن سالار
لاشك ان العلاقة بين الخليفة الفاطمي (ظافر بن حافظ) و ابن سالار الذي تولى الوزارة بقدراته الشخصية و قوته العسكرية – لم تكن حسنة و ذلك لان الخليفة قد عين نجم الدين بن مصال لتلك الوزارة – كما ذكرنا سابقا – و في حين كان ابن سالار واليا على الاسكندرية . و لم يفعل الخليفة ذلك الا برضاه و قناعته الشخصية. لهذا كان الصراع و النزاع و الخصام قائما بينهما.. و ان المحبة و الاحترام المتبادلين بينهما بدأ يضعفان و يضمحلان يوما بعد يوم. حتى ان الخليفة قد منح ابن مصال امولا و نقودا كثيرة في اليوم الذي

انفسهم الذين كانوا معينين في تلك الامارات من لدن السلاطين السلاجقة في الشام و الجزيرة. و ان هؤلاء الامراء ايضا لم يكونوا متحدين و متعاونين فيما بينهم. بل كانوا متنازعين و متخاصمين فيما بينهم فرقتهم الاهواء و المصالح و الرغبة في السلطة و الادارة . و كل ذلك كان سببا يفيد منه الصليبيون و ينتهزوا الفرصة المناسبة لتوسيع دائرة سلطتهم و احتلال بلاد العرب و المسلمين بحيث وصلت حملتهم مناطق امد و نصيبين كما يرويه ابن الاثير⁽⁵⁵⁾ و هذه الحالة السياسية و العسكرية المتردية تزداد سوء يوما بعد يوم الى ان برز في الساحة الامير (عماد الدين زنطى) (521-541 هـ)، الموافق (1127-1146م)⁽⁵⁶⁾ و اشتهر و ذاع صيته في المنطقة و بذل جهوده في سبيل انشاء جبهة قوية موحدة بين المسلمين.

و خلفه ابنه المسعى (نور الدين محمود) (541-569 هـ - الموافق ل 1146-1173م. في اداء مهامه و ينبغي ان يشار الى ان ابن سالار المعروف بـ (الملك العادل) كان يحمل نفس لقب (نور الدين محمد) اي كان لقبه نور الدين مثل ابن عماد الدين زنطى . فقد وصل ابن سالار الى قناعة بأن التخطيط العسكري و وضع استراتيجية لضرب الصليبيين و قتالهم و اضعافهم لا يمكن ان يتم و ينجح ألا عن طريق توحد و تعاون تام بين مصر و الشام. و لذلك أرسل مبعوثه الى نور الدين محمود زنطى الذي كان سلطان الشام طالبا منه التعاون معه و تقديم الدعم له في قتال الصليبيين. و يلاحظ ان ابن سالار في هذه الاثناء كان وزيرا للخليفة الفاطمي و ان نور الدين محمود زنطى كان تابعا لخلافة العباسيين في بغداد و لتكريف يسرد ممثل ابن سالار تلك القصة.

يقول اسامة بن منقذ:

ان الظروف السياسية في المنطقة كانت تتعقد يوما بعد يوم اذ كان الصليبيون يزيدون من قوتهم و يمدونها أكثر و يحصنون قلاعهم باستمرار و لاسيما في مدينة غزة. و في هذه الاثناء قال لي الوزير الفاطمي ابن سالار الكردي: تهياً للسفر الى السلطان نورالدين محمود في الشام و خذ بعض الاموال و مبالغ من النقود و اطلب منه باسى ان يقوم بحملة عسكرية على مدينة طبرية لاشغال الصليبيين و تضليلهم من جهة البر لكي يمهّد السبيل لنا في ان نقوم بحملة عسكرية بحرية من جهة الغرب على مدينة غزة و ندمر معسكرات العدو فيها⁵⁷

و من هنا يظهر اسامة ان هذا الفارس البطل في تلك الاثناء قد ادرك ببصيرته الثاقبة و بعد نظره الاهداف الاساسية للصليبيين في تقوية جيشهم داخل غزة و منها هدفهم في احتلال مدينة عسقلان. و قد أثبتت الايام و الاحداث صدق تصوره للامور و صحة نظره اذ تمكن الصليبيون من احتلال مدينة عسقلان سنة 548 هـ / 1153 م⁽⁵⁸⁾

و يقول اسامة ايضا. قلت لابن سالار: و اذا كان صاحب الشام منشغلا بأمر بلادهم فاماذا سيكون موقفنا؟ فقال لي ابن سالار: اذ لبي الطلب و قام بحمله عسكرية على غزة فادفع اليه المبالغ المالية التي امنحك اياها. و ان لم يلب الطلب و تعطل بانشغاله بشؤون بلاده. فاطلب منه ان يأذن لك في ان تستاجر اعدادا من الرجال المقاتلين بما لديك من مبالغ مالية ثم اذهب الى مدينة عسقلان و بعدها دخلت انت الحرب ضد الصليبيين . و حينذاك ابعث اليك برسالة أمرك فيها بما ينبغي ان تقوم به و اوجهك الى ما يجب عمله⁽⁵⁹⁾ و لما

ملازمين له غالبا في حله وترحاله . وكما اشارت المصادر التاريخية فانه كان لأسامة بن منقذ ضلع في تلك الخطة اذ شارك الخليفة في نسج خيوط التآمر ذلك. ولكنه يبري نفسه من مشاركته في تدبير تلك الخطة كما يذكره في كتابه بل يدعي أنه لم يكن على علم بها يقول اسامة ان الملك العادل (ابن سالار) جهز جيشا و ارسله نحو مدينة (بلبيس) و سلم زمام قيادة ذلك الجيش الى (العباس) ابن زوجته و قد رافق العباس في تسير هذا الجيش ابنه – اي ابن عباس المدعو (نصر) و كان الهدف من تحرك هذا الجيش حماية مصر من مخاطر واعتداءات الصليبيين⁽⁷⁴⁾

يقول اسامة : بقى نصر مع والده في المعسكر لأيام ثم عاد الى القاهرة دونما استئذان من احد. ولما علم الملك العادل بعودة نصر الى القاهرة فسر عودته بأنها في سبيل ان يشارك اصدقاءه في الالعباب و السمر و اللهو و يتمتع بها كعادته في مشاركته لهم في تلك الالعباب... و بناء على التغيير امره بالعودة الى والده ولكن نصرا في تلك المدة من عودته اتصل بالخليفة (الظافر) سرا. و ناقشا معا و وضع خطة لقتل الملك العادل و حاكا خيوطها. و أعلم جمع من رجال القصر بالتعاون الجدي مع نصر في سرية تامة. و في تلك الاثناء استطاع نصر بسبب ما كان في جعبته من اموال و مبالغ نقدية لقاء عمالته ان يتقرب من شخص من جنود جيش ابن سالار و كان مسؤولا عن حماية داره التي هي ملك جدته. و ابلغه نصر ان يعلمه ذلك الجندي بعودة ابن سالار الى بيته و وقت منامه⁽⁷⁵⁾

و من المعلوم ان نصرا كان يدخل دار ابن سالار دونما استئذان، و يتصرف فيها كأنها داره الخاصة به. و لكن امنية الخليفة تحققت اذا أعلم نصر في يوم الخميس المصادف للسادس من شهر محرم الحرام سنة 548هـ / 1153م بان الوزير و صل بيته و انه مرهق متعب و هو الآن نائم على فراشه. و فوراً مضى مع ستة من رجال القصر ممن عينهم الخليفة لمؤازرته و حمايته الى دار الوزير متكرين في ملابس الخدم – و ليس بالملابس العسكرية – و ذلك لئلا يشك احد بهم فدخلوا غرفة نوم الوزير بعدم اقتحموا الدار. فقتلوه . وهو نائم – و فصلوا راسه عن جسده و ذهبوا به الى الخليفة في القصر لكي يستلموا ما تبقى من اجور عمالهم⁽⁷⁶⁾ مع انه حصل اصطدام و تراسق بالاسلحة بين قوات الملك العادل و رجال القصر و لكن مقاتلي العادل لما رأوا راس الوزير المقتطع من جسده في ايدي هؤلاء العملاء خارت عزائمهم و هبطت معنوياتهم فلم يبق فيهم اندفاع للقتال. فغادروا القاهرة متوجهين الى معسكر العباس في مدينة (بلبيس)⁽⁷⁷⁾

هذه هي الخطة التي يروها اسامة و لكن عدداً من المصادر التاريخية تشير الى ان اسامة نفسه كان له مشاركة فاعلة في وضعها و تمريرها. لانه كان قريبا من ابن سالار و كان يحل عليه ضيفا في معظم الايام و من هؤلاء المؤرخين القائلين بذلك ابن الاثير. فهو يقول: ان اسامة هو الذي دبر الخطة و حاك خيوطها⁽⁷⁸⁾ و ابن خلكان له نفس الراي الذي يقول به ابن الاثير فهو يقول ان اسامة كان في الجيش الذي سيره الملك العادل الى بلبيس و منذ اليوم الاولى من انطلاق الجيش تحرك اسامة لدفع العباس و حمله على مناهضة ابن سالار (الملك العادل) و كان يؤكد له بأنه يلزم عليهم لكي ينالوا حياة هانئة مرفهة ان يقضوا على الوزير (ابن سالار) و في سبيل تحقيق هذه الغاية نصح العباس بأن يعين ابنه لتنفيذ هذه المهمة. ذلك لان الملك العادل (ابن سالار) كان يحب ابنه و يثق به كثيرا و في مثل هذه الحالة من الصعب ان تتكشف

تهيأ ابن سالار لتولى الوزارة. و ذلك بهدف ان يحشد ابن مصل المقاتلين و يقضى على ابن سالار⁽⁶⁹⁾ ان هذا الكره من الخليفة لابن سالار تسبب في نشوء عدم الثقة و فقدان الائتمان بينهما بالشكل الذي ادى ابن سالار ان ينتظر و يتوقع حدوث الاشياء السيئة و يبري نفسه و يستعد لمواجهة اذا المت به لاسيما ان اغتيال و قتل المتصدرين في الامور الادارية و العسكرية في تلك الايام كان شائعا في مصر و معتادا في اوساط نظام الحكم.

يقول المقرئ: ((ان الاوضاع و الظروف المناسبة التي كانت تدور لمصلحة ابن سالار حيث كانت قوته و عزته تزدادان و تنمو ان يوما بعد يوم وهي التي اقلقت الخليفة الفاطمي و زادت من حنقه على ابن سالار الوزير. لانه كان يشعر بخطورته و لذلك كثرت مخافته منه⁽⁷⁰⁾ و يستمر المقرئ في أشادته بابن سالار و يقول: انه كان متيقظا نبها متمرسا في الادارة و القيادة و مجالات اعماله. كان يشعر بالمخاطر التي تحدث قبل ان تداهمه. و يقول ان له اعمالا كثيرة في هذا الجانب مما لم تكن لسابقه من الوزراء)).

مثل اعداد جيش خاص به يحميه كان عدده (600) جندي. يأخذون منه الاوامر و لا يخضعون لغيره و كان معه اعداد كبيرة منهم في كل مرة يواجه فيها الخليفة لكي يجموه من مؤامرات خصومه و اعدائه و حتى من كان في القصر⁽⁷¹⁾

فضلاً عن ذلك محاولاته في تبديل مكان اجتماعه بالخليفة بأن يجعله مكانا خارج القصر بدلا من القصر نفسه. و حينما كان يدخل على الخليفة في الاجتماعات بينها و كان في ثيابه الحربية و دروعه و سلاحه لأتتهما ينظران بعضهما الى بعض بعين الريبة و الحذر. و من جهة اخرى فان ابن سالار كان يعمل على تقليل عدد الشبان الذين كانوا من حماة القصر و قد وصل عددهم الى (500) جندي، حيث قتل اعدادا منهم و أدخل الذعر و الرعب في نفوس بعضهم الاخر عن طريق تهديداته لهم⁽⁷²⁾.

و حاول الخليفة ايضا عدة مرات القضاء على هذا الوزير، و في هذا الصدد يقول اسامة الذي كان في القاهرة انذاك و رأى هذه الاحداث بام عينه. (كان الخليفة يبغض ابن سالار و يمتعض منه فكان يحاول دوما و يبحث عن طريق لقتله . و مثالا على ذلك لما تولى ابن سالار الوزارة سنة 545هـ / 1150 م طلب الخليفة من افراد حاشيته ان يضعوا خطة لمداومة بيت ابن سالار و قتله. و اعطاهم لذلك مبلغا من المال. و وعدهم باعطاء مبلغ اخر لو قاموا هم بقتله فعلا:

كان الوقت انذاك في شهر رمضان. و ما ان حل المساء في احد الايام حتى اختفى اعداد من رجال الخليفة في احدى الدور القريبة من دار الوزير- المعروف انذاك بالملك العادل- و ذلك بقصد ان يداهموا دار الوزير في ساعات متأخرة من الليل و يقتلوه. و من حسن الحظ كان من بين هؤلاء المختفين من هو على اتصال بالوزير سرا. و اخبره بما يجري. و بعد الافطار في ذلك المساء امر ابن سالار جنوده ان يداهموا الدار التي فيها المختفون و يقضوا على الاعداء فيها. و بعد معركة دامت قليلا قتل عدد كبير من رجال الخليفة و هربت اعداد اخرى منهم و من بينهم عشرة جنود دخلوا بيتنا – يقوله اسامة – ثم يستمر قائلا بسبب صداقة هؤلاء اللتجيين الى بيتنا مع عدد من خدامي فانهم اخفوهم ايضا، لان من يقبض عليه كان يقتل⁽⁷³⁾

و بعد هذه الحادثة بدأت المحاولات تتوالي لقتله. و ظل الخليفة و عدد من رجال القصر يفكرون في قتله بطريقة ناجحة و في هذه المرة وضعوا خطة مناسبة تحقق هدفهم عن طريق احد اصدقاء ابن سالار نفسه ممن كانوا

- الخطة و قال ان نصرنا بامكانه ان ينفذ الخطة كاملة بعد عودته الى القاهرة⁽⁷⁹⁾
- ويقول المؤرخ (ابو الفداء) بعد ما عاد نصر الى القاهرة فانه التقى بالخليفة مرارا وجلسا معا وتحادثا في تلك المهمة وكيفية انجازها.⁽⁸⁰⁾
- يقولون ان هناك اتفاقا قد حصل بين الخليفة واسامة بهذا الصدد. قبل انطلاقة جيش الملك العادل نحو مدينة بليس و انه اكد للعباس انه لكي يكسب منصب الوزير بعد قتل ابن سالار. و ان ماساعد اسامة في تمرير خطته و تنفيذها هو تقريه منهم جميعا بصورة عامة فانه كان قريبا من الخليفة و من الوزير و اهله، و من العباس ابن زوجة الوزير ولهذه الاسباب كان الطرف ملائما له لتنفيذ المؤامرة.
- وبعد ما قتل ابن سالار عاد العباس الى القاهرة و دخل دار الوزارة دون ان ينتظر صدور امر الخليفة لذلك و هذا يعني انه قد اعلم سابقا بالخطة و اراد هو نفسه تنفيذها. وبعد دخول العباس دار الوزارة دونما استئذان فان الخليفة ذهب اليه بنفسه و سلمه شؤون وزارته⁽⁸¹⁾ و عن نتائج هذه الحادثة يقول ابن الاثير: ان قتل هذا الشخص لم يكن سهلا و كان له اثر سيء، و خاصة في مدينة عسقلان التي كان الصليبيون يتمنون احتلالها. و لذلك استغل الصليبيون الفرصة السانحة امامهم فأغاروا على عسقلان و سيطروا عليها. و ذلك بسبب انقطاع المعونات و الامدادات التي كان ابن سالار يمددهم بها و يقدمها اليهم دائما من مصر فضلا عن معوناتهم السنوية و ان احتلال عسقلان ادى الى توسع دائرة السلطة العسكرية للصليبيين فوجهوا انظارهم الى مصر و ضغطوا على الشام و بالأخص على دمشق⁽⁸²⁾ فاذا ظهر صدق مقوله (ستانلي لينبول) الذي قال في حديثه عن هذه الحادثة التاريخية (انها تعتبر اخفى حادثة في تاريخ مصر)⁽⁸³⁾
- وزارة الثقافة و الاشاد القومي ، القاهرة 1963م. ج3/ ص477.
- (8) وفيات الاعيان ، ج 3 / ص 418 .
- (9) وفيات الاعيان ، ج 3 / ص 417 .
- (10) البداية و النهاية ، ج 12 / ص 207.
- (11) بلارة : كانت زوجه للأمير فتوح في المغرب العربي الذي هو اخ لأبي الفتوح على بن يحيى و كان حاكم افريقية و بعد موت زوجها اتت بلارة برفقة ابنتها (عباس) الى مصر بعدها تزوجت بابن سالار، (ابن قلانسى : ابو يعلى حمزة (ت555هـ / 1159م)، ذيل تأريخ دمشق، مطبعة الابهاء اليسوعيين، بيروت 1908، ص320)
- (12) وفيات الاعيان ، ج 3 / ص 416 .
- (13) ن.م، ج3، ص416
- (14) البداية و النهاية ، ج 12 / ص 207 .
- (15) وفيات الاعيان ، ج 3 / ص 417 : ابن ميسر: تاج الدين محمد بن علي ابن يوسف، (ت 814 هـ / 1479م) أخبار مصر ، حققه ايمن فؤاد، المعهد الفرنسي للآثار الشرقية، (القاهرة/ 1981)، ص144
- (16) أسامه بن منقذ: مؤيد الدولة ابي المظفر اسامة بن مرشد الشيزري (ت 584 هـ / 1188م) الاعتبار، حرره فيليب حتي، مطبعة جامعة برنستون، 1930، ص 11 .
- (17) صبح الاعشى ، ج 12 / ل 103 : محسن محمد حسين : أربيل في العهد الاتابكي، مطبعة اسعد، بغداد، 1076، ص 254 .
- (18) صدر الدين بن ظاهر الاصفهاني : معجم السفر، تحقيق دكتور بهيجة الحسيني، 1987، (د.م-د.ت)، ج 1 / ص 35 .
- (19) وفيات الاعيان ، ج 3 / ص 417 .
- (20) عطا عبدالرحمن معى الدين : اسدالدين شيركو، حياته و دوره في الحروب الصليبية، رسالة ماجستير، قدمت الى قسم التأريخ في كلية العلوم الانسانية/ جامعة السليمانية سنة (2001 / 2002)، ص 52
- (21) الامير شرفخان : الشرفنامه، ترجمة محمد جميل الملا احمد الروزياني، ص 189 .
- (22) ابن تغري بردي، جمال الدين ابي المحاسن يوسف الاتابكي (ت 804 هـ / 1470م): النجوم الزاهرة في ملوك مصر و القاهرة، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، 1936، ج 5 / ص 288 .
- (23) وفيات الاعيان ، ج 1 / ص 105 .
- (24) السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن (ت 911 هـ / 1505م): حسن المحاضرة في اخبار مصر و القاهرة ، ج 1 / ص 211 : معجم السفر، ج 1 / ص 35 .
- (25) الاسكندرية : مدينة على ضفاف بحر المتوسط في مص، هي تقع في الاقليم الرابع (معجم البلدان ، ج 1 / ص 182)
- (26) حسن ابراهيم حسن : تأريخ الاسلام السياسي و الثقافي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1967، ج 1 / ص 238 .
- (27) عطية مصطفى مشرف : نظم حكم بمصر في عهد الفاطميين، القاهرة، (د.ت) ص 121.
- (28) ن.م . ص 121.

- هوامش
- (1) ابن الكثير : عماد الدين اسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي (ت 774 هـ / 1372م). البداية و النهاية في التأريخ، مطبعة السعادة مصر، 1932 م. ج 12 / ص 207 .
- (2) ابن خلكان : ابو العباس أحمد (ت 681 هـ / 1282 م) . وفيات الاعيان و انباء ابناء الزمان ، تحقيق :أحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، د-ت ، ج3/ ص416
- (3) ن.م. ج 2، ص 416 .
- (4) محمد أمين زكي : مشاهير الكرد و كردستان في العهد الاسلامي ، مطبعة التفيض الاهلية، ج 2 / ص 82 ، نقلته الانسة الكريمة الى اللغة العربية ، راجعه الاستاذ محمد على عوني .
- (5) ابي الفداء : عماد الدين اسماعيل بن محمد (ت 732 هـ / 1321 م) المختصر في أخبار البشر، دار المعرفة ، بيروت ، 1997 م ، ج 2 / ص 27 .
- (6) وفيات الاعيان ، ج 3 / ص 418 : يقول المؤرخ محمد أمين زكي (سيف الدولة)؛ مشاهير الكرد ج 2 / ص 82
- (7) الحجر : انها تشمل تلك المدارس التي كانت مخصصة للتعليم و للتدريب العسكري في ان واحد و كانت تضم (5000) طالب في اماكن مختلفة و كانت ذات تسميات خاصة ، واكثر طلاب هذه المدارس كانوا من اولاد المسؤولين في تلك المناطق (الفلقشندي: أبو عباس أحمد بن علي (ت 821 هـ / 1418 م): صبح الاعشى في

- (29) المقريري، اتعاظ الحنفا باخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء / ص 78 .
- (30) صبح الأعشى ، ج 3 / ص 494 .
- (31) وفيات الأعيان ، ج 3 / ص 419 .
- (32) المقريري : الخطط ، ج 3 / ص 48 : مشاهير الكردو كردستان ، ج 2 / ص 83 . شذرات ، ج 4 / ص 149 .
- (33) لفظة (الوزير) وردت في القرآن الكريم (سورة طه الآية 29) و لهذه اللفظة (وزير) ثلاثة معان
اولا: يأتي بمعنى حامل معظم واجبات ومهام الخليفة
ثانيا: (ملجأ) من تلجأ اليه ، لمعرفة رايه و تصوره على أي موضوع كان.
ثالثا: بمعنى الظهير او الناصر، بمعنى اي انه يكون كالعماد في ترسيخ سلطة الخليفة. (الثعالبي، ابو المنصور عبد الملك بن محمد اسماعيل، (ت 429 هـ / 1037 م) : تحفه الوزراء، تحقيق حبيب علي الراوي، بغداد، 1977، ص 39).
- (34) المسعودي، ابو الحسن علي بن الحسين بن علي، (ت 346 هـ / 957 م) : مروج الذهب و معادن الجوعر، تحقيق عبدالأمير، بيروت 1991، ج 3 / ص 298 .
- (35) أبن الاثير، عز الدين الحسن على بن عبدالكريم الجزري (ت. 630 هـ / 1232 م) الكامل في التأريخ. تحقيق، مكتب التراث ، مؤسسة التأريخ العربي ، ط 4 ، بيروت ، 1991 م ، ج 7 / ص 103 .
- (36) قدرى قلعضي : صلاح الدين الايوبي ، ص 161 ، نةبزة مجيد أمين المشطوب الهكاري ، ص 118 .
- (37) الخليفة (ظافر) ابو منصور اسماعيل بن الخليفة حافظ ولد سنة (527 ك/ 1132 م) دامت خلافته اربع سنوات و ثمانية اشهر الى ان اغتيل بيد وزيره. (اتعاظ الحنفا ، ص 286)
- (38) نجم الدين بن مصال : اسمه ابو الفتوح سليم بن محمد بن مصال. انه من منطقة برقة و وصل الى مصر مع والده و أصبح واحدا من الامراء الكبار في الدولة الفاطمية الى ان وصل مرتبة الوزير. عن طريق ذكائه ودهائه . (الكامل ، ج 7 / ص 75) .
- (39) الكامل في التأريخ ، ج 7 / ص 76 .
- (40) ابن ميسر: اخبار مصر، ص 142، شذرات ، ج 4 / ص 149 .
- (41) الاعتبار، ص 8 .
- (42) الكامل في التأريخ ، ج 7 / ص 76 .
- (43) مشاهير الكرد ، ج 2 / ص 82 .
- (44) الاعتبار، ص 9 .
- (45) دلاص : منطقة قرب مدينة الصعيدة، (ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج 2 / ص 581) .
- (46) وفيات الأعيان ، ج 3 / ص 416 ، لكن ابا الفدا ، يقول : انه حكم اربعين يوما (المختصر في أخبار البشر ، ج 2 / ص 99)
- (47) الاعتبار، ص 9 : ابن ميسر: أخبار مصر. ص 147 ؛ عطية مصطفى مشرف / نظم الحكم بمصر، ص 115 .
- (48) وفيات الأعيان ، ج 3 / ص 417 .
- (49) حرب الصليبيين/ دامت الحروب الصليبية قرتين من (1096 الى 1291م) من غرب اوربا بدأت الحملة العسكرية نحو شرق العالم الاسلامي احتلت سواحل البحر المتوسط في الحملة الاولى . (عماد الدين خليل : عماد الدين زنطى ، ص 135).
- (50) رها : مدينة في الجزيرة الفراتية بين الموصل و الشام . (معجم البلدان ، ج 3 / ص 106) .
- (51) انطاكية : مدينة شامية بناها الروم ، قريبة من مدينة حلب (معجم البلدان / ج 1 / ص 266) .
- (52) القدس : و يأتي بأسم بيت المقدس (معجم البلدان / ج 4 / ص 311)
- (53) طرابلس : في اللغة الاغريقية جاءت بمعنى (الملوك الثلاثة) و كذا قالوا مدينة الناس انها مدينة على السواحل المائية لحمص (معجم البلدان ، ج 4 / ص 25)
- (54) الجزيرة الفراتية :منطقة تقع بين دجلة و الفرات، متاخمة للشام ، و تشمل منطقة ديار بكر، مدينة: رها ، حران ، رقة ، نصيبين ، سنجار ، خابور ، آمد ، تشمل ميفارقين. (معجم البلدان ج 2 / ص 134)
- (55) ابن الاثير : تاريخ الباهر في الدولة الاتابكية، (بالموصل)، تحقيق عبدالقادر طليمات، القاهرة 1963م، ص 32
- (56) عماد الدين الزنكي :ابن اقسنقر توركمان حكم الموصل عشرين سنة عرف بأتابك الزنكي في: (521 / 541 ك / 1126 / 1147م) (عماد الدين خليل : عماد الدين زنطى ، ص 31) .
- (57) الاعتبار، ص 12؛ ابن ميسر: أخبار مصر، ص 145
- (58) عسقلان : مدينة شامية تقع في فلسطين وهي في الساحل و يقال لها عرس الشام. (أبن عديم : زبدة الحلب في تاريخ حلب ، ج 2 / ص 304 .
- (59) الاعتبار، ص 12، 13
- (60) ديبق : اسمها اليوم (ديبيج) انها جزء من منطقة دمياط تابعة لاقليم دلتا اشتهر بالاقمشة الجيدة (معجم البلدان ، ج 2 / ص 83) .
- (61) سقلاطون :كلمة يونانية تأتي بمعنى الكتاب المنسوج (الاعتبار: ص 12) .
- (62) في عهد الفاطميين اشتهرت هذه المدينة بصناعة قماش الحرير و الكتان (المقريري/الخطط ، ج 3 / ص 200)
- (63) الاعتبار، ص 13 .
- (64) بصري :منطقة في الشام تابعة لدمشق. (معجم البلدان ، ج 1 / ص 441)
- (65) الاعتبار/ ص 13 .
- (66) الاعتبار، ص 18 .
- (67) الاعتبار، ص 20 .
- (68) الاعتبار، ص 22 .
- (69) الاعتبار، ص 8 .
- (70) الخطط ، ج 3 / ص 46 .
- (71) الخطط ، ج 3 / ص 47 .
- (72) اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء ، ص 324، 325 .

training and preparation to face the risks that threaten the country and Bla_khas Ktatr Salibi, but hatred in the heart of the Fatimid caliph toward Salar son was strictly Day after day did not like the Salar Ibn Khalifa visibility and control mailers and the Department of the ministry's wisdom and strength and firmness and arranged several conspiracies against him for serving him and took advantage of weak successor psychological Nasr Ibn Abbas, who was sponsored Ibn Abbas was the son's wife and son Salar victory was the military leadership which had totals One of them is confident the son of Salar and handed the reins of some important matters to him Aldebaran successor plan in secret to eliminate the son of Salar and costly to implement victory for little ignored after the implementation of his crime and has already assassinated Nasrallah's son Salar in Manama after one of his personnel protection and agreed to a date to kill him during Manama Thus, the seasoned leader assassinated by known courage, justice and love of good and the application of law and the administration of justice, fairness and equality and killing him was turn the page on two approaches in the nation's bright Arabic

Keywords: Ali, Ibn Salar, the fatimids Minister, Fatimids state

- (73) الاعتبار، ص 10 .
- (74) الاعتبار، ص 22 .
- (75) م. س، ابن ميسر: أخبار مصر، ص 146
- (76) الاعتبار، ص 23 ، ابن الاثير : الكامل ، ج 7 / ص 76، سبط ابن جوزي : مرآة الزمان ، ج 8 / ق 1 / ص 214: ابن ميسر: أخبار مصر، ص 146
- (77) الاعتبار ، ص 23.
- (78) الكامل في التاريخ ، ج 7 / ص 23 .
- (79) وفيات الاعيان ، ج 3 / ص 418 .
- (80) المختصر في أخبار البشر، ج 2 / ص 91 ، اتعاظ الحنفا ، ص 324.
- (81) الاعتبار، ل 23 : المختصر في اخبار البشر، ج 2 / ص 99.
- (82) الكامل في التاريخ ، ج 7 / ص 105.
- (83) نقلا عن حسن ابراهيم حسن : تأريخ الدولة الفاطمية في المغرب و مصر و سوريا و بلاد العرب، ط2، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة/ 1958م، ص 185.

Abstract

Ali, Ibn Salar, the fatimids Minister 544-548 A.H/ 1149-1153

Fatimid rule covers an area of significant history of Egypt and some parties in the Levant and the Maghreb, but historical studies on affected and the complexity of subject matter did not disclose some important aspects of that history, especially regarding penetration of Ministers to examine the figures and the men Altnfven powerful princes and pimp who have been in more Conditions slander fried in events such covenants and Maljtha Bengal and if we say that the son of the Kurdish Salar is one of those men strong powerful leading role since playing in his distinctive for important posts in the State Fatimid whether and when the machine or to Alexandria after it became a minister in the state that historians agree on little Identify the most important qualities in managing the affairs of his country mourns the da'eef While that was just a loving man of good and firm in applying the and the imposition of the rules are described Paljor, injustice and hard with the parish but they reiterated that vital leadership qualities of courage and firmness and a strong will and wisdom in addressing problems and others had gathered in Salar son causing him since his youth to enjoy exercise its leadership role and the day was gaining strength, determination and good performance of his duties, which is near the caliphs and first put on board in the governance and justice and the infamous title Adel done much work beneficial and eager to apply the law to everyone without distinction also known as recorded his liking Charities to serve Islam and Muslims the creation of many mosques, schools and public facilities also emerged in the fields of science and education and the deployment of hypocrisy on science and exchange students from its own funds in that area as much allocated for the salaries of teachers and rewarding result of the large interest in school and study in several schools in his name famous, including fair in Alexandria was also Mdaamaa solid foundation for the country's borders, especially the territory of Alexandria when he was there and automatically Despite the frequent conflicts in control of things between the country's leaders and princes, the son of Salar Nahyan of the ministry once they learned that the successor has been appointed dependent son ministers and actually succeeded in his mission and forcibly took over the ministry, despite hostility Ibn Al-Khalifa of Salar and support for dependent son and the son of Salar proved its worth and strength and wisdom in managing the country s best Ramon nas oeen at the same time for the administration and the military